الأهرام

المصدر: الاتحاد

التاريخ: ٢١ مايو ٢٠٠٤

الرأي العام الأميركي وتعذيب السجناء العراقيين

د. إبراهيم البحراوي

أستاذ الدراسات العبرية - جامعة عين شمس

إن نتائج الاستطلاعات في الولايات المتحدة تؤكد أن فضيحة تعذيب السجناء قد حركت الضمير الديمقراطي وميول وثقافة حقوق الإنسان ضد الإدارة الأميركية.

منذ تفجرت فضيحة تعذيب السجناء العراقيين على أيدي قوات الاحتلال الأميركي أصبح أحد شواغلي البحثية الرئيسية متابعة مواقف الرأي العام الأميركي بقواعده الشعبية كما تنعكس في رسائل القراء للصحف، وبصَفوَته الثقافية كما تنعكس في مقالات الكتاب والصحفيين، وبممثليه البرلمانيين كما تنعكس في مناقشاتهم في الكونجرس.

إن دافعي من هذا الانشغال سؤال يلح عليّ قائلا.. هل يمكننا أن نعول على الرأي العام الأميركي في تعديل مسارات الإدارة الحاكمة في قضية تناقض مبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان مثل قضية تعذيب السجناء العراقيين؟ ومنذ نشرت مقال الأسبوع الماضي تحت عنوان "إشكالية الإصلاح الديمقراطي وتعذيب السجناء العراقيين" والذي أوردت فيه محتوى بعض رسائل القراء الأميركيين التي تستنكر هذه الجرائم وتصفها بالعار وتطالب بمحاسبة المسؤولين.. تدفقت في الصحف الأميركية نتائج مجموعة من استطلاعات الرأي التي أجرتها مراكز بحوث متنوعة بعد أسبوع من تفجر الفضيحة. ولقد نشرت صحيفة واشنطن بوست بتاريخ 2004/5/14 تفاصيل هذه الاستطلاعات مصحوبة بتحليل قدمه الكاتب دان بالز تحت عنوان يشير إلى أن الاستطلاعات تنطوي على علامات سيئة بالنسبة للرئيس بوش. يقول الكاتب.. لقد انحدر الرئيس بوش قبل ستة شهور من موعد إجراء الانتخابات المقبلة في نوفمبر إلى موقف سياسي هش وهو موقف يعرض احتمال إعادة انتخابه للخطر بسبب التأثير السلبي لمعالجته لأكبر قضيتين تواجهان الولايات المتحدة وهما العراق والاقتصاد.

وإذا ما تأملنا أهم أسباب هذا الحكم باحتمال خسارة بوش للانتخابات فإننا نكتشف أن تاريخ الانتخابات الأميركية كما يقدمه الباحثون الأميركيون من معهد جالوب لاستطلاعات الرأي يفيد من خلال دراسة جميع سوابق الانتخابات أن الرئيس الأميركي الذي تقلُّ أو تنخفض نسبة التأييد والاستحسان لأدائه الرئاسي عن نسبة خمسين في المئة قبل ستة أشهر من الموعد المقرر للانتخابات لابد وأن يخسر أمام منافسه. من هنا يرى المحللون المختصون أن نسب الاستحسان والتأييد لأداء الرئيس بوش في قضيتي العراق والاقتصاد بعد أسبوع من تفجر فضيحة صور التعذيب وفي هذا التوقيت قبل موعد الانتخابات تشير إلى تهديد جاد لفرص فوزه. ذلك أن استطلاع معهد جالوب قد بين أن نسبة التأييد والاستحسان لأداء بوش الرئاسي وصلت إلى أدنى درجة لها في استطلاعات المعهد لتسجل نسبة 46٪. في حين أن نسبة الرفض وعدم الاستحسان لأدائه قد ارتفعت إلى 51٪.

من جانب آخر سجل استطلاع آخر أجري في نفس الأسبوع في مركز بيو لاستطلاعات الرأي أن درجة التأييد والاستحسان لأداء بوش الرئاسي انخفضت إلى نسبة أقل لتسجل 44٪ في حين ارتفعت نسبة الرافضين وغير المستحسنين لأدائه إلى 48٪ في الاستطلاع نفسه.

إن هذه النتائج في تقديري تقدم مؤشرات على أن الرأي العام الأميركي في غالبيته قد تأثر بفضيحة تعذيب السجناء العراقيين وترجم رسائله إلى الصحف التي عبر فيها عن الاستنكار والعار إلى موقف سياسي سلبي تجاه إدارة الرئيس بوش. وهذا المؤشر في حد ذاته هو ما يتصل بالسؤال الذي يشغلني والمطروح في صدر المقال بغض النظر عن الآراء التي عبر عنها بعض أعضاء حملة بوش الانتخابية حول دلالة النتائج. ذلك أن هؤلاء يقولون إنه إذا كان تاريخ الانتخابات الأميركية يشير إلى ما استخلصه باحثو جالوب من خطورة موقف بوش فإنهم يعتقدون أن انخفاض نسب الاستحسان لأدائه مرتبطة بالأحداث الجارية في العراق في المرحلة الراهنة وأن ما سيحسم المصير الانتخابي للرئيس هو نتائج الاستطلاعات التي ستجرى في شهر أكتوبر قبل شهر من موعد الانتخابات وليس النتائج الحالية قبل ستة شهور.

إن المؤشر الذي استخلصه من تقدير أعضاء حملة بوش يؤيد تصوري في أن الرأي العام قد تأثر موقفه تجاه إدارة بوش سلبيا بسبب فضيحة التعذيب وهو الاستخلاص الذي يؤكده قولهم إن انخفاض نسب الاستحسان مرتبط بالأحداث الجارية فالأحداث الجارية تتركز في أمرين الأول والأقدم هو سقوط خسائر بشرية بين القوات الأميركية خلال الشهرين الأخيرين بشكل مكثف. والثاني والأحدث هو فضيحة التعذيب. وبما أن الانخفاض الأشد في نسب

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الاستحسان قد حدث بعد فضيحة التعذيب فإن الأرجح أن تكون هي الحدث الجاري الذي أدى إلى هذه النتائج.

وإذا نظرنا في نتائج استطلاع أجرته شبكة تلفزيون سي.بي. اس نيوز ونشر في الحادث عشر من مايو، فإننا سنكتشف أن مقارنة نتائج استحسان الأداء الرئاسي في شهر أبريل الذي تميز بكثافة الخسائر البشرية بين الجنود الأميركيين بالنتائج التالية للفضيحة في شهر مايو تؤكد صحة استخلاصنا. ذلك أن الإجابة عن سؤال عام حول استحسان أداء بوش كرئيس قد جاءت نتائجها في أبريل بنسبة 46٪ في حين جاءت أشد انخفاضا في مايو بنسبة 44٪.

وفيما يتعلق بالسؤال حول أدائه في معالجة الموقف في العراق تحديدا نجد الاتجاه نفسه فقد كانت نسبة الاستحسان في أبريل أعلى حيث سجلت 41٪ بينما انخفضت في مايو إلى 39٪.

أما فيما يتعلق بنسبة الرافضين وعدم الاستحسان على نحو عام للأداء الرئاسي فإنها ترتفع في مايو لتسجل نسبة 49٪ بينما كانت أقل في أبريل حيث سجلت 47٪ فقط. وفيما يتصل بالرافضين وغير المستحسنين للأداء الرئاسي في العراق تحديدا نجد النسبة تسجل ارتفاعا ملحوظا في شهر مايو لتصل إلى نسبة 58٪ بينما كانت في شهر أبريل أقل بستة حيث كانت 52٪ فقط.

أما فيما يتصل بالسؤال الحاسم والذي يتعلق بصورة الولايات المتحدة في العالم العربي نتيجة الحرب مع العراق فإن نتائج استطلاع شهر مايو تؤكد استخلاصنا بأن الرأي العام الأميركي قد تأثر موقفه سلبيا تجاه إدارة بوش بفضيحة الصور. فقد رأت نسبة 73٪ في مايو أن الحرب في العراق تجعل صورة الولايات المتحدة أسوأ في العالم العربي بينما كانت النسبة في أبريل 71٪ أي أقل بنقطتين. وبمراجعة نتائج استطلاع مركز بيو نجدها تسير في توافق مع نتائج شبكة سي. بي. أس.

ذلك أن نسبة من يعتقدون أن الجهود في العراق تسير بشكل جيد جدا قد انخفضت بتسع نقاط في مايو عما كانت عليه في أبريل لتصل في مايو إلى 46٪ بعد أن كانت 55٪ في أبريل.

إن نتائج جميع الاستطلاعات التي أجريت في الولايات المتحدة تؤكد إذن أن فضيحة تعذيب السجناء العراقيين قد حركت الضمير الديمقراطي وميول وثقافة حقوق الإنسان لدى الرأي العام الأميركي في اتجاه سلبي ضد الإدارة الأميركية. وبالطبع فإن اهتمامنا بتتبع اتجاهات الرأي العام لابد وان يتواصل بقصد الرصد والتسجيل والتقييم مع تطور قضية التعذيب موضع التحقيق البرلماني في الكونجرس الهادف إلى تحديد المستوى القيادي المسؤول عن جرائم التعذيب وهل يتوقف عند قيادات السجن أم يصل إلى مستويات أعلى من ذلك. وفي تقديري أن العالم العربي في أشد الحاجة بعد اكتشاف الموقف الإيجابي الشريك لنا في الغضب ضد جرائم التعذيب لدى قطاعات مؤثرة في الرأي العام الأميركي إلى أن يفكر في الوسائل التي يمد بها جسورا للتواصل مع هذه القطاعات. ذلك أن بحثنا عن قوى في الولايات المتحدة تقترب برؤاها وقيمها ومواقفها الأخلاقية من مواقفنا يمثل مطلبا قديما ينادي به كثير من المفكرين العرب.

ولا أعتقد أن هناك فرصة أفضل من هذه الفرصة المفتوحة أمامنا اليوم للتواصل مع قيادات الرأي العام الأميركي في القطاع الثقافي والبرلماني وقطاع منظمات حقوق الإنسان. أن بناء الجسور حول قضية واضحة المعالم لا يختلف عليها اثنان من أصحاب الضمير الإنساني والأخلاقي يمكن أن يؤسس لتفاهمات أعمق في المستقبل حول قضايا أكثر تركيبا وتعقيدا. ومن الواضح أن مهمة بناء الجسور لا يجب أن تفوت على مراكز البحوث والمؤسسات المدنية في العالم العربي حتى لا نواصل سياسة الفرص الضائعة المعتادة.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية